خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٧/٠٤/٢٠١٢

في مسجد دار الأمان في مانشستر

۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمـــدًا عبـــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّـــكَ أَنْـــتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَـــا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْـــتَ الْعَزِيـــزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧-١٣٠)

لقد ذُكرت في هذه الآيات أسوةٌ عظيمة ودعاء عظيم ضُربت فيهما أمثلةً عليا للتواضع والانكسار والتضحية. وقد دُعي فيها وصُبّ الاهتمام على بقاء الأولاد أيضا على علاقة متينة مع الله تعالى. وفيها الدعاء لهداية العالم وأن يكون الأهل عبادَ الرحمن. فقد ذُكرت في الآية الأولى التضحيةُ العظيمة التي قدمها سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. أي كل حجر كان يوضَع في جدران الكعبة كان سببا لتوجيه الأنظار إلى أن الأب سيُقيم إلى الأبد ابنَه وذريتَه في هذا الوادي غير ذي الزرع. وكان يوجّه أنظار الابن إلى أنه سيقيم هنا في هذا الوادي غير ذي الزرع لعمارة هذا البيت. فكان هذان الصالحان، المرسَلان من الله تعالى واثقَين من وعوده تعالى بأن هذا البيت سيكون مركز العالم كله يوما من الأيام، ولكنهما لم يدركا حينها متى سيتم كل ذلك. وما كانا ينظران أمامهما إلا ما يقتضي التضحية فقط، ومع ذلك كانا يدعوان الله تعالى بمنتهى التواضع بأن عملية البناء الذي نقوم بها إنما هي بمحض فضلك فاقبَلْ تضحيتنا هذه. لم يُظهرا أدنى نوع من الاستكبار بأن ما فعلناه نستحق بسببه أجرا سريعا. بل قالا: اسمَع دعواتنا يا ربنا فإنك أنت السميع العليم. لقد قدّمنا ما كان عندنا ونتعهّد أننا سنضحّي في المستقبل أيضا بل نودّ أن يشترك أولادنا أيضا في هذه التضحية. هذا هو الدعاء الذي دعا به هذان الشخصان الصالحان. ثم خاطَبا اللهَ وقالا بأننا كشفنا لك ما يدور في خَلَدِنا وأنت أعلم بأن ما نفعله وما نقوله إنما نفعله ونقوله لنيل مرضاتك فقط. فاقبَلْ تضحيتنا هذه واجعلْ هذا البيت بيتك حتى يُعمَر هذا الخراب ببركة بيتك. أما نحن فقد قمنا بعمارة هذا البيت ظاهريا – كما فهمنا– ليكون مركز العمران ولكن

عمرانه الحقيقي يتوقف على فضلك فقط. فارزقْ الذين يعمرون هذا البيت ظاهريا بصيرة وبصارة يعرفوك بسببها ثم تزيدهم في الروحانية أكثر. فإن مساجد المسلمين تُبنى انطلاقا من هذه الفكرة والروح، وهكذا يجب أن يكون، وإلا فجَمال البنايات الظاهري لا يعني شيئا. هناك مساجد جميلة ظاهريا ولكن تعوزها الروحانية فلا يتحقق منها الهدف الحقيقي. لقد قال النبي ﷺ بأنه يجب ألا تكون المساجد مزخرفة ولكننا نرى كثيرا من المساجد مزخرفة مثلما يزخرف أهل الأديان الأخرى دور عبادتهم. وكما فعل بعض الملوك والسلاطين لدرجة قام بعض الملوك بطلائها بالذهب، ولكن هذا كله؛ سواء المذهّبة أو المزخرفة، لا يضيف شيئا إلى جمالها الحقيقي. إن جمال المساجد هو عمارتها خالصا لوجهه ولنيل رضاه ﷻ.

لقد ذكر سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه: زرتُ إحدى البلاد العربية *(ربما كانت مصر)* وذهبت لزيارة مسجد فيها وكان كبيرا وجميلا جدا. عندما دخلته رأيتُ أربعة أو خمسة أشخاص يصلون في زاويته. سألتهم ما القصة؟ فقال إمام المسجد الذي كان يؤمهم في الصلاة: إن الناس لا يأتون للصلاة فلا أؤم الصلاة واقفا في المحراب خشية أن يقول الزوار: مسجد كبير وجميل ولا يوجد فيه إلا بضعة مصلّين! لذا نصلي في زاوية ليظن الزوار بأن الصلاة بالجماعة قد انتهت، والآن يصلي فرادى أولئك الذين جاؤوا متأخرين.

ولكن هناك وجه آخر أيضا للموضوع وهو أن الناس يذهبون إلى المساجد ويصلون أيضا بكثرة ولكن قلوبهم خالية من الروح التي يجب أن يتحلى بها المصلي الحقيقي بل تغلبهم الأشغال الدنيوية والأفكار المادية إذ لا يكون

تركيزهم خالصا لله تعالى. فيجب أن نتذكر دائما بأننا حين نبني المساجد أو سنبنيها في المستقبل فيجب أن نبنيها للخضوع أمام الله تعالى ولنيل رضاه ﷻ دائما وأن نشكر الله تعالى دائما على أن وفّقَنا لتقديم التضحيات في هذا السبيل، دون أن يجد أي زهو أو عُجب إلى أذهاننا سبيلا. الحق أن تضحياتنا التي نقدّمها لا تمثل جزءا من مئة ألف جزء مقارنة مع التضحية التي قدّمها إسماعيل عليه السلام، بل هي أقل بكثير من ذلك. نحن لا نقدم إلا تضحيات مالية وذلك أيضا ضمن إطار إمكانياتنا. لا شك أن التضحية المالية التي يقدمها المرء بهدف نبيل بما فيها التضحيات لبناء المساجد مغيِّرا أولوياته تحتل أهمية بالغة في هذه الأيام وهو عمل محمود بطبيعة الحال، إذ قد ركّز النبي ﷺ كثيرا على بناء المساجد، وينال أصحاب هذه التضحيات أجرا عند ربهم.

إن فروع الجماعة في البلاد الغربية نشيطة جدا في هذا المجال ومهتمّة بفضل الله ببناء المساجد، حيث تُبنى المساجد في أوروبا بكثرة. وقد غيّر كثير من أبناء الجماعة اتجاه أولوياتهم فلم يقدموا الأموال الزائدة عندهم في هذا السبيل بل قدَّموها معرِّضين أنفسهم لضائقة مالية. ومع ذلك يجب أن نتذكر أنه يجب ألا نفتخر بهذا أدنى افتخار.

لقد أُنفق في بناء هذا المسجد ١.٢ مليون جنيه أسترليني تقريبا، ووعد أبناء الجماعة المحلية أنهم سيدفعون هذا القدر من المبلغ تقريبا ولا يزالون يدفعون أيضا بفضل الله تعالى وقد جُمع إلى الآن ٧٥% من هذا المبلغ. هناك بعض الإخوة الذين قدّموا تضحيات هائلة. عندما فحصتُ قائمة المتبرعين رأيت أن بعض الإخوة تبرعوا بـ ٨٤ ألفَ جنيه أسترليني أو ٧٨ ألفًا أيضا. وهناك

آخرون دفع كل واحد منهم خمسة عشر ألفا وعشرين ألفا أو ثلاثين ألفا. وتبين لي أن وعود ١١ فردا من أفراد الجماعة المحلية تربو على ٣٠٠ ألف جنيه أسترليني. فهذه تضحية عظيمة يقدمها أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية في الظروف السائدة حاليا. ولكن مع كل ذلك يجب أن توجهنا تضحياتنا إلى التواضع والانكسار، لأن تضحياتنا المتواضعة لا تساوي شيئا مقارنة مع الأسوة الحسنة التي قدّمها الله لنا. إن تضحياتنا لن تجدي نفعا إلا إذا عَمَرْنا هذا البيت. المكان الذي بُنِيَ فيه بيت الله كان واديا غير ذي زرع وكان خرابا يبابا غير مأهول. وهذه المناطق في هذه البلاد لا تزال خربة من حيث الروحانية في الوقت الحالي. فعلينا أن نعمرها ونجعلها خضرةً نضرة روحانيا. ولتحقيق هذا الهدف نبني المساجد في أوروبا. هذه مهمة عظيمة يجب أن نضعها في البال دائما إذ لا يمكن عمارة المساجد بصلاة الجمعة فقط بل يجب أن يحضر الإخوة في بقية الصلوات أيضا. واليوم حين نفتح هذا المسجد ندعو الله تعالى: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾. واعلموا أن تضحياتنا ستنال درجة القبول عند الله حين نعاهد الله تعالى وندعوه أيضا أن يقبلها منا ويزيدنا في الروحانية ويوفّقنا لعمارة هذا المسجد، لأنك تعلم أن هذا المسجد نبنيه خالصة لعبادتك، لذا ندعوك يا ربّنا أن تُسكِن في هذه المنطقة أناسا يتقدمون في الروحانية لأن المسجد قد بُني ليُعمَر بذكرك. فاقبلْ تضحيتنا وبلِّغنا مقاما يقرِّبنا إليك لكي نفوز بإنعاماتك ونرث جناتك.

لقد ورد في مسند أحمد بن حنبل حديث: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ، يَقُولُ الرَّبُّ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: سَيُعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ مِنْ أَهْلِ الْكَرَمِ، فَقِيلَ وَمَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ يَا

رَسُولَ اللهِ قَالَ مَجَالِسُ الذِّكْرِ فِي الْمَسَاجِدِ. (مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين)

وجاء في صحيح البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِن الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ. (صحيح البخاري، كتاب الأذان)

إذًا، يجب أن تكون مساجدنا مدعاة لإقامة معايير الكرم. ندعو الله تعالى أن يكون هذا المسجد والذين يحضرونه مرْضِيّين عند الله وحائزين على رضا الله تعالى ومحظوظين بنصيب من نُزُل الله في الجنة. فما أسعد هؤلاء الذين يبنون المساجد واضعين هذا الهدف في البال ويحضرونها بهذه النية فلا ينالون الجنة في هذه الدنيا فقط بل يحظون بالجنة في العالم الآخر أيضا. أو قولوا إن شئتم بأنهم لا يكتفون بتحري الجنة المذكورة في الحديث بل يتحرونها في هذا العالم أيضا. في معظم الأحيان يُكتب في مساجدنا، كما هو مكتوب في قبة هذا المسجد أيضا: "ألا بذكر الله تطمئن القلوب". فمَن اطمأن قلبه فأية جنة تكون أفضل له من ذلك! الاضطراب والقلاقل التي نراها سائدة في العالم في العصر الراهن يعود سببها إلى أن الناس نسوا الله تعالى. أما الذين يذكرون الله تعالى في كل حين وآن يتحمّلون المصائب أيضا لوجه الله ويجعلونها وسيلة لنيل رضا الله تعالى وسكينة قلوبهم.

مئات الناس في العالم ينتحرون يوميا لأنهم لا يقدرون على مقاومة الصدمات الدنيوية وبعضهم يتأثرون سلبيا من هذه الصدمات الدنيوية لدرجة يصابون بالنوبة القلبية، فقبل بضعة أيام كتب لي أحدهم من باكستان أنه حدث

طوفان شديد ونزل البرَد، ربما كان في منطقة شيخوبوره وأباد الزروع. أحد المزارعين حين رأى حقله –وربما كان حقل الشمام- قد دُمِّر تماما أصيب لمجرد ملاحظة ذلك الوضع المأساوي بنوبة قلبية لم يقاومها فمات فورا، فهذه هي الصدمات الدنيوية التي لا تصيب أهلَ الله إثر تعرُّضهم لأضرار مادية بل إنهم يتوجهون إلى الله عند ظهور كل صدمة.

فالمؤمن يجد طمأنينة قلبية باللجوء إلى حضن الله دوما. يقول الله ﷻ في سورة الرحمن ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن: ٤٧)، أي إن الذي خاف المثول أمام الله فله جنتان. فالذين يذكرون الله ﷻ ويعبدونه خائفين، فهم –بفوزهم بطمأنينة قلبية– يظفرون بالجنة في هذه الدنيا أيضا، ثم إن الجنة التي يفوز بها العبد في هذه الدنيا لكونه عبدَ الرحمن تُورثه الجنةَ في الآخرة أيضا.

ثم إن الآية التالية من الآيات التي تلوها دعا فيها سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام اللهَ قائلَين: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾.. أي اجعلْنا نحن الاثنين عبدَين صالحين. ثم هناك مكانة التواضع المتناهي، إذ مع تقديم كل هذه التضحيات وكونهم نبيَين يدعوان الله تعالى أن يجعلهما مسلمَين. إن إبراهيم عليه السلام يسأل الله ﷻ مع تركه زوجتَه وابنه الرضيع في واد غير ذي زرع امتثالا لأمره ﷻ أن يجعله مسلما له. يقول ذلك – بعد أن ضحَّى بكل ما له لله ﷻ فقد ضحى بزوجته وابنه- بأن يجعله الله مطيعا كامل الطاعة، كما أن الابن أيضا يسأل اللهَ أن يجعله صالحا مستجيبا لجميع أوامره ﷻ حتى بعد استعداده للذبح من أجل الله فقط. فهذه هي المرتبة التي يجب أن يحرزها كل مؤمن، إذ ينبغي أن لا يفتخر بحسناته ويتكل عليها قط، وأن لا يُعجَب بتضحياته

ويزدهي بها قط، بل ينبغي أن يقول لله ﷻ كل حين وآن خائفا: يا إلهي ليس لأعمالي شأن يُذكر، إذا كان فضلك حليفا لنا فيمكن أن نصبح صالحين، وعبادَ الرحمن، فنحن ندعوك ونتضرع إليك ونلتمس منك بتواضع أن تُثبِّتنا على الحسنات وتجعلنا أوفياء لك، وسائرين على سبل رضاك، لأن هذا هو الهدف الذي من أجله خُلق الإنسان. ثم لم يدعوَا لهما وحدهما فقط بل قد دعَوَا لذريتهما أيضا حيث قالا: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾.

فلم يكن همُّهما منحصرا في أن يوفَّقا لعمارة بيت الله بعد بنائه في حياتهما فقط، بل قد دعَوَا الله أن يجعل من ذريتهما أيضا مَن يعمره ويستفيضوا منه الفيض الروحاني ويطيعوه طاعة كاملة، وهذا ما ينبغي أن يدعُوَ له المؤمن أيضا.

فهذا هو الدرس لنا اليوم أيضا حيث ينبغي أن لا يقتصر إنشاء الصلة بالمسجد على الشيوخ المسنين أو العاطلين، بل يجب أن يخصّص المشغولون أيضا وقتا لحضور المسجد ولْيعمروه. وعلينا أن نربط علاقة أجيالنا القادمة أيضا بالمساجد حتى ينشأ في قلوب شبابنا وأطفالنا ولَعُ العبادة، وهذا العمل إذا كان يتطلب الجهد العملي ففي الوقت نفسه يشكل الدعاءُ وسيلة كبرى لتحقيقه. فالله العليم بما في الصدور والسميع يسمع الأدعية الصادرة من صدق القلوب. لهذا اُدعوا الله تعالى أن تنشأ فينا الرغبةُ في عبادته ﷻ والامتثال لأوامره وتستمر وتزدهر في أجيالنا القادمة أيضا، أما إذا تهاونتم أنتم في عبادة الله والاستجابة لأوامره فسوف ينتقل هذا التهاون إلى أجيالكم القادمة أيضا. فبمناسبة بناء كل مسجد إذا كان واجبا علينا أن نهتم برفع مستوانا الروحاني

والدعاء، علينا أن نلفت الانتباه إلى تربية ذرياتنا أيضا. إن دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ إذا كان يلفت انتباهنا إلى العبادة والتربية شخصيا ففي الوقت نفسه ينبهنا إلى تربية أجيالنا وتحسين أوضاعهم أيضا. إن ﴿مناسكنا﴾ تعني العبادة وأداء جميع الأمور التي فُرض علينا إحرازُها من الله، فقد لفت انتباهنا إلى أداء جميع حقوق الله بالإضافة إلى العبادة، وليس ذلك فحسب بل ينبغي أن لا يزعم أحد في نفسه بعد أداء العبادة وحقوق الله أنه أحرز إنجازا عظيما، بل ينبغي أن يقول: ﴿تُبْ علينا﴾ أي تقبَّلْ توبتنا والتفتْ إلينا بحيث لو صدرتْ منا بعض الأخطاء البسيطة فاصفح عنها، إنك أنت التواب الرحيم.

فعندما نداوم على هذا الدعاء سيتحقق الهدف من بناء المسجد وينشأ لدينا الاهتمامُ بأداء حق السعي لنيل رضوان الله، ونسعى لنُسلِك أجيالَنا أيضا على هذا السبيل ونفوز بفيوض الرحمة والبركات السامية التي أجراها الله ﷻ تقبُّلا لأدعية سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا إسماعيل عليه السلام في العالم، والتي غمرت العالم فأحدثتْ انقلابا بدأ به الموتى يحيَون، وبدأت تنفجر الينابيع الجديدة للروحانية، وسُجلت للعبادة معايير لم ترَها عينٌ قط ولم تسمعها أذنٌ، فبُعث الرسول العظيم ﷺ الذي بلَّغ العبادة منتهاها وانتهت عليه معايير الوفاء وتمت عليه المساعي لأداء حقوق الله، فتُقُبِّلت كل هذه الأمور عند الله وبلغت درجةً أنِ استصدر اللهُ فيها الإعلان مِن أَحَبِّ رسولٍ إليه سيدِنا خاتم النبيين محمد المصطفى ﷺ، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣).

فهنا قد سُجلت عند الله معايير العبادة والتضحيات وكل الأعمال التي لم تشاهَد من قبل ولم يُسمعْ عنها قط، فهذا هو المعراج الذي حظي به سيدنا محمد المصطفى ﷺ، فقد أعلن الله للعالم على لسانه ﷺ أن حبَّ الله ﷻ الآن منوط باتباع هذا النبي العظيم ﷺ فقط، ومن أراد هذا الحبَّ بعيدا عنه ﷺ فلن يفوز بذلك أبدا. فهذه هي الأسوة الحسنة التي سُجِّلت فيها معايير العبادة والتضحية. ثم إن الذين كسبوا الفيض المباشر من قوته القدسية قد ظلَّت أبواب جديدة لنيل الفيوض الإلهية تنفتح لهم أيضا نتيجة تأسّيهم بأسوته ﷺ، حيث كان هناك مَن يبيتون الليل سجّدا وقياما ويقضون النهار في تقديم التضحيات من أجل الدين، فالأمواتُ الروحانيون نالوا الحياة السامية جدا، فهذا هو الرسول الذي بُعث للناس كافة إلى يوم القيامة، فهذا الفيض ما زال جاريا، وهذه الأسوة الحسنة ما زالت اليوم أيضا تتألق وتُشرق كما كانت في اليوم الأول. إن التعليم العظيم الذي جاء به ﷺ لا يزال يضيء بلمعانه؛ فقد وهب الله ﷻ لهذا النبي العظيم ذلك المحبَّ المخلص الذي بعثه في الآخرين، فجدد مهمةَ النبي ﷺ التي تشمل تلاوة الآيات وتزكية النفوس وتعليم الكتاب وبيان حكمة الأعمال. ثم إن أبناء جماعة هذا المحب المخلص أيضا سعَوا ليَصْبِغوا عبادتهم وأعمالهم بصبغة سيدهم ومطاعهم وطبَّقوا عليهم تعاليم الإسلام لدرجة أن معارضي الأحمدية لم يجدوا بُدًّا من الاعتراف بأن الذي يريد ملاحظة التمسك بالشعائر الإسلامية عمليا فلْينظر إلى هؤلاء، فهذا هو المعيار الذي أقامه أسلافُنا، فلم يلجموا بذلك ألسنة المعارضين فقط بل قد استصدروا منهم تصريحا بأن الصورة العملية للإسلام الحقيقي يمكن أن تلاحَظ

في أبناء الجماعة الإسلامية الأحمدية. إن هدفنا العظيم الذي يجب أن نضعه في الحسبان اليوم أيضا ونلجم به ألسنة العالم هو أن نجذب العالم إلى الإسلام من خلال أعمالنا الحسنة، ونستنزل أفضال الله بكثرة الدموع والابتهال في العبادة والصلاة، وعلينا أن ننشئ علاقة ذرياتنا أيضا بالمساجد لأداء هذا الحق، عندئذ يسعنا أداء حق عمارة المسجد والاستفاضة من دعاء: "ربنا تقبّل منّا إنك أنت السميع العليم"، وعندئذ نتمكن من أداء حق بيعتنا لإمام الزمان، وعندئذ سنوفَّق لمتابعة حقيقية لحبيب الله تعالى سيدنا محمد المصطفى ﷺ فنفوز بحب الله تعالى ونحسّن دنيانا وآخرتنا أيضا.

فمع إنشاء هذا المسجد ينبغي على الضعفاء أن يحدّدوا لأنفسهم أهدافًا جديدة من أجل تحقيق عهود البيعة، ومن أجل تحقيق دعاوى حب رسول الله ﷺ ومن أجل جذب حب الله تعالى. أما الذين مستواهم أرقى من الأولين وهم الذين ينتبهون إلى أداء الصلوات وارتياد المساجد ويهتمون بعمارتها فعليهم أيضا أن يسعوا جاهدين للوصول إلى مراقي سامية في العبادة وأداء حقوق الله تعالى. وينبغي أن يصبح هذا المسجد مدعاةً لإحداث انقلاب في أفراد هذه الجماعة.

تَسَع القاعة الكبيرة لهذا المسجد لـ ٧٦٠ مصليًا وِفق المعلومات التي حصلتُ عليها، فينبغي أن تسعوا لملء هذه القاعة بالمصلين في أسرع ما يمكن. كذلك رُفع إليّ تقرير بأن قاعة النساء أيضا تَسَع لـ ٥٦٠ مصلية، كما أن قاعتين أخريَين أيضا يمكن أن تُستخدما للصلاة عند الحاجة وتَسَعان لـ ٦٨٠ مصليًا. باختصار، يمكن أن يصلي في هذا المسجد قرابة ألفي شخص معًا، ويجب أن

تسعوا جاهدين لتحوّلوا هذه الإمكانية إلى حقيقة واقعة، وعندئذ تستطيعون أداء حق عمارة المسجد وعبادة الله تعالى، وفقكم الله تعالى لذلك. آمين.

بفضل الله تعالى هناك اهتمام خاص لإنشاء المساجد في فروع الجماعة في أوروبا كلها بما فيها بريطانيا أيضا، ولكن يجب أن تتذكروا أن رونقها وجمالها مرتبط بالمصلين.

كنت ألاحظ بعض الحقائق فرأيت أنه قد افتتح مسجد بيت الفتوح في عام ٢٠٠٣، ولم يكن قبله سوى مسجد رسمي واحد لنا في بريطانيا وهو مسجد الفضل، وبعد ذلك وفق الله تعالى الجماعة في بريطانيا لإنشاء ١٤ مسجدًا وهي أنشئت مساجدَ بكل معنى الكلمة. وكانت لنا في أوروبا كلها ١٣ مسجدًا قبل هذا وازداد عددها الآن ليصل إلى ٥٧ تقريبا. أقول تقريبا لأن أحد المساجد في المرحلة الأخيرة من اكتمال بنائه. وهكذا صار عدد المساجد كلها ٥٧ مسجدًا في بلاد أوروبا، وأنشئت ٤٤ منها خلال السنوات السبعة أو الثمانية الماضية في البلاد الأوروبية المختلفة إلا أن معظمها أنشئت في ألمانيا. على أية حال، إن جمالها لا يتعلق بفنّ بنائها بل بمصليها. لذلك فإنني أوجه خطابي هذا إلى الأحمديين في هذه البلدان الأوروبية وأقول: لا نفخر ببناء المساجد بل النبي ﷺ قد تنبأ أنه سيأتي زمان يتفاخر فيه الناس ببناء المساجد. ولو تفاخر المسلمون غير الأحمديين على هذا الفعل فهذا شأنهم، أما نحن المنتمين إلى جماعة الخادم الصادق للنبي ﷺ فليس هذا فعلنا لأن هدفنا لا يتحقق إلا إذا امتلأت مساجدنا بالمصلين لدرجة تفيض ولا تسع لهم، وفقنا الله تعالى لذلك.آمين.

أتناول الآن بعض ما انتقيته من روايات دالة على حب العبادة وتحقيق مستوياتها العليا لِمَن استفاض من هذا الخادم الصادق للنبي ﷺ.

استمعوا إلى هذه الواقعة عن الاستغراق في الصلاة.

يروي جان محمد رضي الله عنه ابن عبد الغفار الدسكوي ويقول: كنا نصلي صلاة المغرب في عهد المسيح الموعود عليه السلام على سقف المسجد المبارك بقاديان وكانت هناك باحة دار المرزا نظام الدين على الناحية الغربية من محراب المسجد المبارك حيث كانوا في أحد الأيام يجلسون مع ثمانية أو تسعة أشخاص ويشربون النرجيلة. (كان هؤلاء من أقارب المسيح الموعود عليه السلام إلا أنهم كانوا معارضين له جدًّا، وكانوا راغبين عن الدين بل ينكرون وجود الله تعالى) على أية حال، كانوا قد أقاموا هذا المجلس حيث كانوا يشربون النرجيلة وكانت الخمور أيضا موجودة أمامهم مصفوفة بينما كان أصحاب هذا المجلس جالسين على الأسرّة. فلما بدأنا الصلاة فمع التكبيرة الأولى دقّوا على الطبل والمزامير وشرع المغنّون يغنّون ليُزعجوا بذلك المصلين. ولكن كانت هناك حالة استغراق عجيبة في صلاتنا بحيث لم يخطر ببالنا مطلقًا شيء عما كان يدور حولنا، فظلوا يدقون المزامير ويغنون ولكن لم يستطيعوا منْعَنا من الصلاة أو تشتيت تركيزنا.

ذكر حاكم علي رضي الله عنه التغييرَ الحاصل في نفسه بعد البيعة فيقول: بعد البيعة قد شغفني حب المسيح الموعود عليه السلام لدرجة كنت أحضر شهريًا للقائه، وكأنني أعيش على زيارة المسيح الموعود عليه السلام. كنت قد بنيت إلى جانب بيتي مسجدًا صغيرًا فكنت أدخلُه عند صلاة التهجد وأعود منه بعد صلاة العشاء. أي

كنت أقضي فيه من عشرين إلى اثنتين وعشرين ساعة يوميا، وكنت أصوم ولا آكل إلا مرة واحدة فحسب ولم أكن أشعر بالجوع أو العطش. فكنت أقضي كل هذه الأوقات في الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن الكريم، وكنت فرحًا مسرورًا حتى وصلت إلى هذه الحالة بحيث إذا دعوت لشيء أو توجهت إلى الله بخصوصه كان يأتيني الرد الصحيح عنه فورًا أي بواسطة الكشف، مما زادني محبةً لله تعالى والقرآن الكريم والنبي ﷺ وأصبح إيماني بالمسيح الموعود عليه السلام قويًّا جدًّا لا يمكن أن يتزعزع أبدًا. (*لقد جاء إلى هنا أيضا كثير من الناس الذين طلبوا اللجوء هنا وهم كبار في السن ولا عمل لهم، فعليهم أيضا أن لا يضيعوا وقتهم هذا في الجلوس عاطلين بل ينبغي أن ينتبهوا إلى عباداتهم ويقتدوا بهذه الأسوة في العبادات.*)

يروي مير مهدي حسن رضي الله عنه ويقول: كان المسجد المبارك يقع في الأيام الأولى في ثلاث حجيرات ضيقة (*أي كان صغيرًا يقع بين ثلاثة أبواب*) وتسع كل حجيرة لصفين فحسب واحد خلف آخر، وكل صفٍّ لستة أشخاص فقط. وكانت هناك باحة صغيرة إلى يمين المسجد تقيم فيها الآن أم المؤمنين (أي عندما ذكر الراوي هذه الرواية). كان ملك غلام حسين الخباز والمرحوم محمد أكبر خان السنوري يجلسان في هذه الباحة ومعهما الخبز والطبيخ، أعطاني ملك غلام حسين طبقًا صغيرًا من الأرز وناولني الخبز أيضا، وما أن تناولت لقمتين أو ثلاث حتى طلب المولوي عبد الكريم أن يرفع أحد الإقامة وبدأ بالصلاة. تركت الطعام وهممت بالدخول إلى المسجد وإذا بالخباز يناديني بلهجة قاسية نوعًا ما وقال: كُلِ الطّعام أولاً ثم يمكنك أن تصلي الصلاة، وإلا

فستقاسي جوعًا لأنك لن تلقى الطعام قبل غداء الغد. قلت له: لم آت هنا للأكل والشرب. الصلاة هي كل شيء ولا أستطيع تركها، قلت له ذلك وشاركت في الصلاة.

يروي الحكيم فضل الرحمن عن والده الحافظ نبي بخش ويقول: كان والدي يكنّ محبة عارمة للمسيح الموعود عليه السلام، وكان طبعه يتميز بالحيطة والحذر لدرجة أنه كلما سأله أحد ليذكر بعض الأحداث المتعلقة بالمسيح الموعود عليه السلام كان يجيب: إن ذاكرتي ليست بقوية فأخشى أن أنسب إليه – عليه السلام– قولا خاطئًا. كان يعمل جابيًا لضرائب الأراضي الزراعية ويضطر في موسم الجباية للتجوال الطويل يوميًّا في الحر القائظ من أيام مايو ويونيو (*أي تلك الشهور التي يشتد فيها الحر في البنجاب*)، وبطبيعة الحال يؤدي ذلك إلى تعب وإرهاق شديد إلا أنه مع كل ذلك يفيق لصلاة التهجد ويأمرنا نحن أبناءه بذلك، وعندما يأتي رمضان في عز الصيف كان يصوم بكل التزام رغم الحر الشديد، أما في الشتاء فكان يجهر بصلاة التهجد عمومًا ويُشرك معه أولاده. كان قد حفظ القرآن بفضل الله تعالى، وكان يؤكد علينا كثيرا حتى نصوم بل كان يراقب ذلك، وكان يغضب إذا قصّرنا في ذلك. لقد علَّمَنا تلاوة القرآن الكريم بنفسه، وإن لم يجد وقتًا لتعليمه لنا نهارًا جراء انشغاله في الأعمال كان يأتي ويعلمنا إياه ليلا.

هذه هي الأسوة التي يجب على الوالدين الاقتداء بها وأخْذها بعين الاعتبار من أجل تربية الأولاد، فلو كان الوالدان مثالاً في العبادة كما مرّ لاقتدى بهم الأولاد أيضا وتأسوا بأسوتهم. أخذ الناس يبتعدون عن الدين في هذه البلاد

وشرع أولادنا أيضا يتأثرون بهذه الظاهرة، فما أحوجنا إلى بذل السعي من أجل التشبث بالدين ورفع مستويات عبادتنا، ومراقبةِ أولادنا والاهتمامِ بتربيتهم!

لقد رأيت بعض الرجال البالغين ٤٠ و٤٥ سنة يشاهدون التلفاز حتى منتصف الليل، كما أتلقى شكاوي من زوجات بعض منهم، أو يجلسون أمام النت طويلاً، فكيف يمكن لهؤلاء أن يقوموا بتربية أولادهم.

إذن فهناك تحدٍّ كبير، وعلى الأحمديين في هذه البلاد خاصة وفي سائر بلاد العالم عامة، أن نتحدى الشيطان الذي قد تجاوز في أفاعيله الحدود كلها، ولكنا لا نستطيع ذلك إلا بعون الله، وعونُ الله إنما يترل بالعبادات، لذا هناك حاجة ماسة للاهتمام بهذا الأمر.

ويسرد شيخ نور الدين رضي الله عنه أحواله بعد البيعة ويقول:

بعد فترة جئتُ إلى أمرتسر، فشغلتْني تجارتي، وضعفتْ حالتي الدينية. وذات ظهيرة في أيام الحر كنت نائمًا، فشعرت أني في حالة الغرغرة (*أي أنه شعر في المنام أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة*) فكنتُ أسمع أصوات الناس ولكن ما كنت قادرًا على إجابتهم. ثم غسلوني وكفنوني ودفنوني تحت التراب. وعندما رجعوا بعد دفني ضمَّني القبر من جانبيّ ضَمّةً لم أُطِقْها. فإذا المسيح الموعود عليه السلام قائم أمامي وقال مشيرًا إليّ بإصبعه: هل هذا ما عاهدتَنا عليه؟ فتضاعفت معاناتي بسماع كلماته عليه السلام. فبكيت كثيرًا وقلت له: سيدي قد نسيتُ، فاصفح عني، وإني أتوب ولن أتكاسل في المستقبل. فذهب المسيح الموعود عليه السلام، واستيقظت من النوم. ولكني كنت في اضطراب وعناء لا

يوصفان. كانت الدموع تسيل من عيني، وكنت في حالة رعب وهيبة للغاية. ثم استقبلتُ القبلة وبدأت الصلاة. وظلَّ تأثير هذا الحادث مسيطرًا علي مدة طويلة مع الشعور بالعناء والألم.

فكان هؤلاء أيضًا ينسون ويخطئون أحيانًا، ولكن الله تعالى يحذّر الذين يريد بهم الرحمة، وهذا أسلوب من أساليب حب الله تعالى لعباده إذ لا يدَعهم يفسدون.

وهناك واقعة فيها أسوة ودرس للنساء أيضًا. إن بعض النساء لا يواظبن أحيانًا على أداء الصلوات في مواقيتها بأعذار شتى، بينما وجدتُ بعضهن أكثر اهتمامًا ومواظبة على الصلوات من الرجال. تروي السيدة "مائي كاكو" رضي الله عنها:

حضرتُ مع مجموعة من النساء من قريتنا "سيكهوان" لزيارة المسيح الموعود عليه السلام في قاديان، فقالت لي والدة المولوي قمر الدين: إننا نحن النساء نجمع المغربَ مع العشاء لكثرة المشاغل، فاستفتي المسيحَ الموعود عليه السلام في ذلك؟ فقلتُ له عليه السلام: إن النساء يتأخرن عن أداء صلاة المغرب في وقتها لانشغالهن بأولادهن، فماذا يعملن؟ فقال عليه السلام: لا أرى أنهن سيتأخرن عن أداء المغرب في وقتها إذا بذلن لذلك جهدهن حقًا، ولكن إذا كان هناك اضطرار حقًّا فيمكنهن أن يجمعن العشاء مع المغرب، ذلك لأن الملائكة تنزل وقت المغرب كما تنزل وقت الفجر، فإذا اضطررن لأداء المغرب والعشاء جمعًا، فالأفضل أن يقدّمن العشاء ويصلينها مع المغرب جمعًا.

تقول السيدة "مائي كاكو" رضي الله عنها: منذ ذلك وحتى اليوم أنا أعمل بذلك، فأجهّز الطعام وأُطْعِمه الأولاد قبل المساء لأتفرغ لأداء صلاة المغرب في وقتها.

فهذه هي نماذج هؤلاء القوم، فإن هذه الصحابية لم ترغب في أداء الصلاتين جمعًا، بل اهتمتْ بأدائهما في مواقيتهما منفصلتين. فعلى الأمهات – وهن أسوة لأولادهن– أن يهتممن بهذا الأمر.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

لقد قدّم الإسلام ذلك الإله القادر المتزّه عن كل عيب الذي يمكن أن ندعوه ويحقق بدعائنا إياه آمالا كبيرة لنا، ولذلك عَلَّمَنا في سورة الفاتحة دعاء: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم...﴾، أي: ربَّنا دُلَّنا على الصراط السويّ الذي هو صراط الذين حازوا على نِعمك وأفضالك العظيمة. وقد علّمنا الله تعالى هذا الدعاء لكي لا نكتفي بالإيمان فقط، وإنما علينا أن نعمل لكي نحظى بالنعم التي نالها عباد الله المقربون.

إن الذي يأتي إلى الله تعالى بحماس حقيقي وبصدق كامل وإخلاص كامل لا يضيع أبدًا. إنّه لَمِنْ حق اليقين أن الذين يصبحون لله تعالى يصبح الله لهم، وينصرهم ويؤيدهم في كل موطن، بل يكرمهم وينعم عليهم بحيث إن الناس يتبركون بثيابهم. لقد علّم الله تعالى دعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ لتنبيهكم ولكي تروا نتيجة أعمالكم. إذا كان المرء يعمل عملاً ولا يرى له نتيجة فعليه أن يفحص عمله ويعيد فيه النظر ويفكر ما هذا الذي أعمله ولا يترتب عليه نتيجة.

ثم يقول عليه السلام وهو يبين ملخص أصول العبادة:

إنما خلاصة أصول العبادة أن يقوم الإنسان للصلاة وكأنه يرى الله تعالى، أو كأن الله يراه. عليه أن يتخلى عن الشوائب كلها ويتطهر من الشرك بكل أنواعه، ويفكر في عظمة الله تعالى وربوبيته فقط، وأن يُكثر من الأدعية المأثورة وغيرِها من الأدعية، ويتوب ويستغفر كثيرًا، ويُقِرَّ أمامه – عز وجل – بضعفه مرة بعد أخرى، ليحظى بطهارة النفس وتزكيتها، وتنشأ له علاقة صادقة مع الله تعالى، فيتفانى في حبه عز وجل. وهذا هو ملخص الصلاة كلها، وقد احتوتْه سورةُ الفاتحة تمامًا. ففي قوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يعترف العبد بضعفه ويطلب العون من الله وحده، ثم يبتهل إلى الله تعالى أن يوفقه أن يسير على سبيل النبيين والرسل، وينال النعم والأفضال التي ظهرت في الدنيا على أيدي الأنبياء والرسل، والتي لا تُنال إلا باتّباع سبيلهم. ثم يدعو الله تعالى أن يجنّبه سبيلَ الذين كفروا بأنبياء الله ورسله وتكبروا وتجاسروا، فتزل عليهم غضب الله في الدنيا، أو سبيلَ الذين جعلوا الدنيا غايتهم ومقصدهم، وانحرفوا عن الصراط المستقيم. إن هدف الصلاة إنما هو الدعاء، وعلى المرء أن يدعو الله تعالى أن يهبه الإخلاص له وحبه الكامل، ويُكرِّهَ إليه المعصيةَ التي هي بلاء عظيم وتفسد أعمال الإنسان، وأن يزكّيه ويؤيّده بروح القدس. على الإنسان أن يؤْثِر الله تعالى على متع الدنيا كلها مِن جاه وجلال ومال وثراء وعزة وعظمة. يجب أن يكون الله هو المقدّم والأعزّ عليه من كل عزيز وحبيب. أما الذي يقوم بأعمال أخرى متّبعًا القصص والخرافات التي لا ذكر لها في كتاب الله تعالى، فإنه ساقط وكاذب حتمًا. الحق أن الصلاة إنما

هي دعاء يقوم به المرء بالطريقة التي عُلِّمْناها، أي يقوم المصلي حينًا، يركع حينًا، ويسجد حينًا، ولكن الذي لا يدرك اللب والحقيقة، فإنه آخذ بالقشر فقط.

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

"إن بعض الناس يحضرون المساجد، ويصلّون أيضًا، ويؤدّون أركان الإسلام الأخرى أيضا، ولكن لا يحالفهم تأييد الله ونصرته، ولا يظهر في أخلاقهم ولا عاداتهم تحوّلٌ ملحوظ، مما يدلّ على أن عباداتهم ليست إلا تقاليد فارغة، ذلك أن العمل بأوامر الله تعالى بمنزلة بذرة تؤثّر في الروح والجسم كليهما. إذا سقى المرء أرضًا وبذر فيها البذور بمشقة وعناء، ومع ذلك لم يخرج فيها النبات فلا بد من القول إن البذرة كانت فاسدة. والمبدأ نفسه ينطبق على العبادة أيضا، فإذا كان الإنسان يؤمن بأن الله واحد لا شريك له، ويصلّي ويصوم، ويعمل بأوامره تعالى قدر استطاعته ظاهريا، ومع ذلك لا تحالفه نصرة الله بصورة ملحوظ، فلا بد من الاعتراف أن البذرة التي يبذرها فاسدة. إن هذه الصلاة هي التي أصبح الناس بأدائها أقطابًا وأبدالاً، فما لكم لا يظهر لصلواتكم أثرٌ فيكم؟ القاعدة أنك إذا تناولت دواء ولم تجد له نفعًا فلا بد من الاعتراف في النهاية أنه دواء غير مجدٍ. وهذا هو حال هذه الصلوات أيضًا.

ندعو الله تعالى أن نستوعب هذه الرسالة، ونعيش عاملين بها. وفّقنا الله تعالى للعبادات الحقيقية، وجعَلنا من الذين يفوزون برضاه. آمين